البواعث النفسية في رسم لوحة التشبيه
ـ عند شعراء ما قبل الإسلام ـ

امل صالح رحمة
مدرس/ هيئة التعليم التقني

خلاصة البحث

مما توصل إليه البحث :

إن الدوافع النفسية تنفرد في تجسيد الأحاسيس والمشاعر في نتاج الشاعر , من خلال رؤيته لتلك الحالة , فتسهم في صورة المقارنة في التشبيه , فتبعث في المتلقي حالة التأمل والمقارنة بين الحالتين اللتين تجمع بين مكوناتهما صفة واحدة فتصل إلى حالة التلاحم , ويكون ذلك باعثا لرسم صورة التشبيه المعبرة والمؤثرة في المتلقي.

إن هذا النوع من التشبيه بـ(ك , كأن) اعتمد في الشعر الجاهلي بكثرة , وبصورة وافية للهدف , وقد مال إليه الشعراء في عصر ما قبل الإسلام , فبرزت بكثرة في شعر الفخر والمديح والوقوف على الأطلال وفي لوحة الوصف ..... الخ

باعث البحث

النص الشعري تركة موروثة للباحث العلمي , ينهل منها ما شاء , وليس تركة مقصورة على باحث دون غيره أو دراسة دون أخرى ولا يزال يفتح آفاقاً جديدة تمنح الدارس متعةً وشوقاً , ويستلهم منه ما يشاء له أن يستلهم من معانٍ ودروس وعبر .

وحاولت في هذا الموضوع ربط الأدب بعلم النفس – طرق في مرات عديدة – الأمر الذي زادني شوقاً أن استنبط خبايا النفس البشرية , وما تحمله من بواعث وانفعالات في رسم صورة التشبيه بـ(ك , كأن) والذي يعكس بذاته سلوك الشاعر من خلال تجسيد أحاسيسه في رسم لوحة التشبيه .

تحديد المصطلحات

١ – التشبيه لغة واصطلاحاً

" أشبه " الشيُ : ماثله , شابههُ : شبيه , " شبه " عليه الأمر : أبهمه عليه حتى أشبههُ بغيره , والشيء بالشيء ماثله وأنابه مقامه بصفة مشتركة بينهما " شبه " عليه , وله لُبْسَ , وفي التنزيل العزيز " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم"[١]

" اشتبه " الأمر عليه: أختلط, وفي المسألة: شك في صحتها (تشابه) الشيئان: أشبه كل منها الآخر حتى التبسا وفي التنزيل العزيز:" إن البقر تشابه علينا "[٢]. يشبهه لغيره: ماثله وجاراه في العمل, و" التشبيه ": التمثيل: والتشبيه عند البيانيين: إلحاق أمر بأمر لصفة مشتركة بينهما كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة.

والتشبيه: الالتباس, وفي " الشرع": ما التبس أمره فلا يدري أحلال أم حرام وحق هو أم باطل.

ويندرج التشبيه عند البلاغيين بخطاباتهم فيحتل مكانة في بيئة القصيدة في شعر ما قبل الإسلام وهو أن يقوم الشاعر بربط حالتين متقاربتين في لوحة فنية.

وقد تحدث المبرد (ت ٢٨٥ هـ) بما يستحسن في التشبيه قال: " وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة "[٣]

وقال أبن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) " وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى , ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها " :" الإصابة في التشبيه "[٤]

وقال ابن طباطبا (ت٣٢٢ هـ) : " فأحسن التشبيهات ما إذ عكس لم ينقص بل يكون مشتبه بصاحبه مثل صاحبه ويكون صاحبه مثله متشابها به صورة ومعنى"[٥] وقال قدامة ابن جعفر (ت

---

١)القران الكريم : سورة النساء : اية (١٥٧)

٢)القران الكريم : سورة البقرة : اية (٧٠)

٣) الكامل في اللغة والادب : ٢٩٤/١

٤) الشعر والشعراء: ٨٤/٢

٥) عبار الشعر : ١٦

٣٣٧هـ) : "أحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين إشراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بها إلى حالة الاتحاد"[١]

وذكر المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) : أن الغاية من التشبيه هي : "خروج المشبه من الكمون إلى الظهور , ومن الخفاء إلى البروز "[٢] , وقال في عبارة : "فأصدقه ما لا ينقص عند العكس , وأحسنه ما أوقع بين شيئين إشراكهما في الصفات أكثر من إنفرادهما ليبين دهشة الشبه بلا كلفة ...."[٣] لذلك يعيب قول الشاعر في وصف فرسه :

له غرة كلون وصالٍ فوقها طرةٍ كلون صدود

لأنه شبه الأوضح بالأغمض , وما تقع عليه الحاسة بما لا تقع عليه .

فالتشبيه في الشعر العربي الجاهلي وتطوره موضوع أدبي مهم يصلح أن يكون عنواناً لكتاب ضخم يفصل فيه الباحث صور التقارب التي يحدثها وما تحمله من معان وأخيلة وأوزان برزت في الشعر بكثرة, وما تناولناه في هذه الدراسة غيض من فيض.

٢- الباعث لغة واصطلاحاً

وللباعث في المنظور النفسي [٤] " كما يستخدمه علماء النفس" مصطلحات عدة كالدافع, والحاجة, الحافز, الغريزة, وبطرق معينة ولكنها عمليات داخلية تفسر السلوك البشري, لا يمكن ملاحظتها بصورة مباشرة, بل تستنتج من الاتجاه العام للسلوك الصادر عنها وتحليله.

ويفرق علماء النفس بين آليتين من آليات النفس : الآلية الأولى هي الدافع "Motive" والآلية الثانية هي آلية الحافز "Incentive" والمقصود بآلية الدافع ذلك الإلحاح الداخلي النابع من الشاعر باتجاه الوسط , أما آلية الحافز أو الباعث فهي المثير القادم إلى الشاعر من الوسط المتجه من خارجه إليه .

ويوضح حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) حقيقة البواعث النفسية لعملية الإبداع الشعري في أنها : " أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس لكون تلك الأمور مما يناسبها أو ينافرها ويقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين "[٥]

كما عد حازم القرطاجني أن التخيل والمحاكاة يشكلان جوهر الإبداع الشعري , وما يبرزه الشاعر في الصورة الفنية للوحة التشبيه يختلج في خلده وعليه فإن عملية الإبداع التي جاء بها نقادنا القدماء

---

١) نقد الشعر : ١٠٩

٢) شرح ديوان الحماسة : ٤٠٨/١

٣) شرح ديوان الحماسة : ٩/١

٤) ينظر مدخل علم النفس : ٤٣١

٥) ينظر منهج البلغاء وسراج الادباء :١١

لا تخلو من نظرات تأملية نفسية لمعرفة حقيقة النص الشعري بهدف الدخول إلى أعماق الكيان الداخلي لهذه النفسية.[١] ومن الشواهد التي وردت في الشعر العربي قول عنترة في الفخر

إذا وردتْ ماء بليل كأنها سحابُ أطاع الريحَ من كل محرم[٢]

إن الصورة التي رسمها النص تبدو ذات علاقة بتكوين الشاعر النفسي من حيث كونها تركز على عاطفة الشاعر المستقاة من العامل البيئي الذي يحيا فيه , ولان العوامل النفسية كانت مؤثرة في رسمه هذه اللوحة , بتشبيه الخيل التي ترد الماء كأنها سحاب تراكم بعضه فوق بعض , وقد تمثلت كثرتها وسرعة حركتها بأبعاد ذات دلالات نفسية أبرزها الشاعر لتكون عنصراً من الفروسية ألحقة التي يفتخر بها الشاعر .

وصورة أخرى رسمها عمرو بن كلثوم حين شبه حنينه إلى حبيبته الراحلة بحنين إحدى إناث الحيوان على ولدها الذي أضلته , وتاه في الصحراء , أنما ينطلق من استجابة واعية وانفعال عميق بهذا الحيوان ويصبح هذا الانفعال جزءاً لا يتجزأ من ذات الشاعر وكيانه , فيتعاطف معه حيث يقول :

فما وجدت كوجدي أم سقبٍ أضلته فرجعتْ ألحنينا[٣]

وأبرز وجه من وجوه الاغتراب النفسي في الشعر الجاهلي هو الشعور الكبير بالفراغ وتأتي صورة التشبيه موحية لحالة الاختناق التي يصعب التخلص منها وقد عبر عنها امرؤ ألقيس قائلاً:

وليلُ كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليَبتلي[٤]

ويمكن القول بأن نقادنا القدماء فطنوا إلى البواعث النفسية لعملية الإبداع الشعري وأشاروا إليها في كتاباتهم , وكان ابن سلام الجمحي (ت 231 هـ) أول من تحدث عن مظاهر الانفعال , وصلة الشعر بالنفس الإنسانية , ولعل إشارته للعوامل التي تساعد على نمو الشعر في بيئة دون أخرى نتيجة تأثر الشاعر بالأحداث والتي تساعد على تدفق الملكة ونموها وصقل المواهب عند الشعراء .

كما أشار الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) إلى حقيقة الانفعالات والتوترات النفسية والتي يرى إنها ترتبط ارتباطاً مباشراً بعملية الإبداع الشعري, بقوله "قيل لأعرابي ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ قال لانا نقول وأكبادنا تحترق"[٥]

وكما في قول ابن قتيبة (ت 276 هـ) (إلا إن أساس الخلق هو الغريزة التي تحركها دوافع تجيش في ذات المبدع)[٦]

---

[١]) ينظر الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي :٣٧.

[٢]) ديوان عنترة :٧٨ ، المحزم : منقطع آنف الجبل .

[٣]) ديوان عمرو بن كلثوم : ٦٩ , وجدت : حزنت ,السقب : ولد الناقة الذكر , رجعت : رددت , الحنين : صوت التوجع

٤) الخطيب التبريزي : شرح القصائد العشر/ ٢٠٦

[٥]) البيان والتبيين: ٣٢٠

[٦]) ينظر الشعر والشعراء : ٢٣/١

العوامل المؤثرة في الباعث عند رسم صورة التشبيه

إن اعتماد الباعث النفسي لدى الشاعر على العوامل المؤثرة والتي لها الدور الأكبر في إنجاح عملية رسم لوحة التشبيه لأنها تنبع من التأثر والتأثير فتكون الصورة المرسومة في شعر الشاعر ذات ملامح تعبيرية متمثلة في نقل دوافعه النفسية المتأثرة في العوامل المحيطة به ومن أهمها :

١. عامل البيئة

وتعد البيئة التي عاش فيها شعراء عصر ما قبل الإسلام من أهم المواقف الخارجية التي يستجيب لها الباعث واثر الخبرات السابقة والراهنة في قيمة الباعث على استثارة جوانب معرفية وانفعالات معينة تندمج في أفكار الشاعر فتؤدي إلى تنشيط السلوك الهادف إلى تأمين الباعث فيصل إلى الغاية المنشودة فعلاقة الشاعر ببيئته علاقة تأثر وتأثير تعكس عمق الاستجابة النفسية الانفعالية والمشاركة الوجدانية بينه وبين عناصرها , وكما في شعر المهلهل بن ربيعة حيث حدد سلوكه وتبلورت مفاهيمه فهو انعكاس لطبيعتها الحية الصادقة بقوله :

كأن كواكب الجوزاء عُود معطفةُ على ربعٍ كسيرِ
تلألأ واستقل لها سهيلُ يلوح كقمة الجمل الغَدير
وتحذو الشعربان إلى سهيلٍ كفعل الطالب القذف النعورِ[١]

فالشاعر يشبه كواكب الجوزاء في بطء حركتها بنوق حديثات النتاج , تعطف على ربع كسير فلا هي تتركه ولا هو يقدر على النهوض , فهي مقيمة عليه لا تفارقه , وشبه سهيلا في تفرده ووحدته بالجمل الذي ينحني عن الشول , وهو بهذا الوصف ينطلق من شعور حاد ومرارة عميقة بوحدته وقلقه وحزنه.

ويمكن القول بان الشاعر اندرج في الوصف للتعبير عن الحالة النفسية واعتمد البيئة في رسم صورة التشبيه, إذ يقول:

كأن النجم إذ ولى سُحيراً فصالُ جلن في يوم مطير
كواكب ليلة طالت وغمت فهدا الصبح راغمة فغوري
كواكبها زواحف لاغيات كأن سماءها بيدي مديرِ[٢]

ويقول امرؤ ألقيس حينما يشبه القفر من الأرض بترس الفرس

وقفر كظهر الترس محل مضلة معاطش يجري الماء طامسة الفلا[٣]

ومن الشواهد في تراثنا العربي قول الأعشى:

وبيداء قفر كبرد السدير مشاربها واشراقُ أجن[٤]

---

[١]) ديوان المهلهل بن ربيعة : ٢٥١ , عود : النوق حديثات النتاج , القذف : السريع , النعور : البعيد الذي لا يدرك .

[٢]) ديوان المهلهل بن ربيعة : ٢٥٦ , النجم : الثريا , الزواحف : المعيبات التي لا تقدر على النهوض, اللواعب : مثلها .

[٣]) ديوان امرؤ ألقيس: ٣٣٢

[٤]) ديوان الأعشى : ٦٧ , البرد : ثوب مخطط , السدير : ارض باليمن تنسب إليها البرود ,

والشعر العربي حافل بالصور الشعرية التي اوحت بها الصحراء واستقاها الشاعر من بيئته التي خبرها , ويمكن القول بأن صورة التشبيه ينتزعها الشاعر لما يحدث في محيطه (الصحراء) فامرؤ ألقيس حينما أراد أن يجسد صلابة فرسه وسرعة كره على العدو وإدباره حيث لا مجال للكر لم يجد ما يشبه به سوى قطعة صلبة من الصخر دحرجها سيل قوي من مكان مرتفع وذلك في قوله :

مكرُ مفرُ مقبلُ معاً كجلمود صخرٍ حطهُ السيل من علٍ[١]

إن هذا التشبيه من دافع الشاعر حينما يصف تدافع حجارة الجبل وهي تنصب في حركة سريعة , متتابعة لها دوي وصوت , والملاحظ أن هذا التشبيه لا يعكس حركة الكر والفر والإقبال والإدبار , بل هي اندفاع الصخر من مكان عال بقوة لا يمكنه الرجوع .

وقوله :

له إبطالا ظبي وساقا نعامةٍ وإرخاء سرحان وتقريب تتفل[٢]

شبه خاصرتي فرسه في الضمور بخاصرتي ظبي وساقيها بساقي نعامة في الصلابة والقصر وطول الفخذين , وهي صفات محمودة في الفرس , وشبه عدوه بإرخاء الذئب , وتقريب الثعلب والمشبه به منتز من حيوانات صحراوية شاهدها امرؤ ألقيس في جزيرة العرب كثيراً , وشبه كفل فرسه بدعص الرمل الذي لبده الندى ,

فثبت وتماسك , وذلك في قوله :-

له كفل كالدعص لبدهُ الندى إلى حارثٍ مثل النبيط المذأب[٣]

وشبه عمرو بن كلثوم غضون الدروع بطرائق الغدير إذا هبت عليها الريح كما جاء في قوله:

كأن متونهن متون غدر تصفقها الرياح إذا جرينا[٤]

المشبه به منتزع من الصحراء فتكسر سطح الغدير بإثر هبوب الرياح عليه , منظر آلفه ساكن الصحراء العربية وشاهده كثيرا .

أما عبيد بن الأبرص فقد نقل لنا صورة واقعية من صور الصحراء – البيئة– التي يعيش فيها. فقد شبه النياق أو الجمال أثناء سيرهن في الفلاة بسرب القطا الذي أمضه العطش في صبح يوم شديد الحرارة, صورة بناها التشبيه من خلال علاقة الحالة التي كان الشاعر يعيشها بقوله:

وكن كأسراب القطا هاج وردها مع الصبح في يوم حرور رميض [٥]

اجن: مفرد أجن: وهو الماء المتغير الطعم واللون

[١]) ديوان أمر القيس : ١٩

[٢]) ديوان امرؤ ألقيس: ٢١

[٣]) ديوان امرؤ ألقيس: ٤٧ , الدعص : الكثيب الصغير من الرمل وهو ما يشاهد في الصحراء

٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٤١٦, وشرح المعلقات السبع:١٢٣, شرح القصائد العشر:٣٥٧

٥) ديوان عبيد بن الأبرص: ٨١ , رميض: شديد الحرارة ,الرمضاء :صفة من صفات الصحراء

ومن هنا نستطيع القول إن ما يبرزه الشاعر في لوحة التشبيه إنما يرتكز على التخيل والمحاكاة فيأتي التشبيه متجانسا ومطابقا لما يعتلج في نفسه.

وقد أجاد امرؤ ألقيس في نقل آلامه وما تحمله نفسه من آلام في صورة التشبيه التي أراد أن يقول بها إن دموعه سالت عند فراق من أحب كما تسيل دموع ناقف الحنظل رغماً عنه جاء ذلك في قوله:

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل[١]

إن اختيار الشعراء هذا الأسلوب في خطابهم الشعري إنما يكون أنعكاساً لرغباتهم رغبتهم في رسم الصورة التشبيهية المستقاة من بيئتهم (الصحراء) وبما يتجانس مع الدوافع النفسية والرغبات لدى الشعراء فنلاحظ في وصفهم الصدق الدال على صفاء النفس والتمتع بالنظر إلى شعب الصحراء.

والشعر العربي حافل بالتشبيهات الحية التي اوحت بها بيئتهم والتي تمثلت في مخيلتهم كواقع فالشاعر يستعير تشبيهاته منها لكونه يتنقل في فضائها.

٢. <u>التخيل والمحاكاة</u>

إن عملية الإبداع ذات أثر بالغ في رسم لوحة التشبيه وما تعكسه من تجانس بين المشبه والمشبه به. وكما عد حازم القرطاجني إن التخيل والمحاكاة يشكلان جوهر الإبداع الشعري.

حين يتأمل الشاعر عنترة بن شداد رضاب حبيبته وعذوبة ثغرها من خلال تشبيهه بروضة غناء يكشف لنا عن نفسية تتوق إلى تحقيق أمانيها إذ يقول

إذ تستبيك بأصلتي ناعمٍ عذبٍ مُقبلهُ لذيذ المطعم
كأنما نظرت بعيني شادنٍ رشا من الغزلان ليس بتوأم
وكأن فأرةِ تاجر بقسيمةِ سبقت عوارضها إليك من الفم
أو روضةِ أنفاً تضمن نبتها غيثُ قليل الدمن ليس بمعْلمٍ
أو عاتقاً من أذرعاتٍ معتقاً مما تعتقهُ ملوك الأعجمِ
جادتْ عليها كل عين ثرةٍ فتركن كل حديقةٍ كالدرهم[٢]

إن الصور التي رسمها عنترة في قصيدته جاءت متناسقة الدلالات في ترابطها الموضوعي والنفسي وكشفت عن عاطفة صادقة لها صدى نفسي, اندفع له الشاعر وحشد له تشبيهات كثيرة أعطت الصورة وقعها وفاعليتها النفسية والدلالية.

وللتخيل دور في رسم لوحة التشبيه على توفير الإيقاع الموسيقي فلو نظرنا إلى قصيدة الشاعر بشر بن أبي خازم في قوله:

لمن الديار غشيتها بالأنعم تبدو معالمها كلون الأرقم [٣]

---

١) ديوان امرؤ ألقيس:٩, البيت من معلقته المشهورة

٢) ديوان عنترة: ١٩٤–١٩٨ ,تستبيك:تذهب بعقلك, الثغر: البراق , الشادن: الغزال, الرشا: من نعته وهوالحسن, فأره تاجر :فأرة المسك.

٣) ديوان بشر بن خازم : ١٧٩, الأرقم: الحية التي في جلدها نقط كالدارات

من أجمل ما ورد في الشعر لوحة التشبيه التي بناها التخيل بارتكازه على الوصف الصادق والذي عبر عنها امرؤ ألقيس في معلقته قائلاً:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي[١]
فقلت له لما تمطى بصليه واردف اعجازاً وناء بكلكل
إلا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل
فيا لك من ليل كأن نجومهُ بكل مغار الفتل شدتْ بيذبل
كأن الثريا علقت في مكانها بأمراسِ كتانٍ إلى صم جندل

موقع التشبيه في البناء الشعري

حين اختار الشعراء هذا الأسلوب في خطابهم الشعري آثروا أن يكون التشبيه بـ(ك,كأن) غاية ذات دلالات فنية تدفع بالشعر إلى مستوى الإبداع . فتؤثر بالملتقي , برز ذلك في الشعر كثيرا,ويكون حضوره في هذا البحث موقف الطلل, موقف الرحيل ,الفخر ,المرأة,وصف الشيب, فامرؤ ألقيس وقف على الطلل متأثراً بما فعل به الزمن ودعا صحبه للوقوف معه جاء ذلك في قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[٢]
فتوضح فالمقرأة لم يصف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

فجاءت صورة التشبيه موضحة للتفاصيل الجزئية في المكان ويربطها بغياب الاحبه الذين ملؤوا تلك التفاصيل , واليوم لا احد فيها وهي بالتالي تثير الشعور بالألم .

ويدعم هذا الموقف طرفة بن العبد قائلا:

لخولة أطلال ببرقه ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد[٣]

نلاحظ قوة التعبير في لوحة التشبيه حيث حمل الشاعر آلامه وحسرته لما جرى لمكان حبيبته.

ويترك النابغة التفصيل كجزء بأسماء الامكنه ليفصل لنا أشياء جزئية أخرى تتعلق بأثر الحبيبة, ولأن هذه الأشياء تثير لدى الشاعر شعوراً بالأسى والحزن فتأتي صورة التشبيه معبرة عن ذلك الموقف في قوله:

يا دار ميه بالعلياء , فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد[٤]
وقفت فيها أصيلاناً أسائلها عيتْ جواباً وما بالربع من أحدٍ
إلا الأواري لأياً ما أبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

---

١) الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر /٢٠٦
٢)الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر /٤٧
٣) الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر/١٣٣
٤) الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر/٥٣٢

ويطالعنا بشر بن ابي خازم بتشبيه اختلف في تصويره حيث تمثل له بالزخرف باقي الطلل جاء ذلك في قوله:

فكأن أطلالاً وباقي دمنه بحدود أواحَ عليها الزخرف[٢]

ويقول عبيد بن الابرص مؤكداً ذلك:

لمن الديار اقفرت بالجذابِ غير نؤي ودمنه كالكتابِ[١]

ويسهم موقف الرحيل في رسم صورة التشبيه بفاعل الدافع النفسي المتأثر بموقف الرحيل, فالرحيل يعني الإجهاز على اللحظات السعيدة التي خفق فيها قلب الشاعر والتي قد لا تعود مرة أخرى.

وسنمر في ما يلي بشعاب بعض النصوص من الشعر الجاهلي التي تناولت موقف الرحيل عبر مجموعة من المحطات يكون فيها التشبيه قد رسم لوحة في اغلب الأحيان اتخذت حالة المقارنة وتجسيد الأحاسيس فيها. فنلاحظ في هذا المشهد أن طرفة بن العبد يركز على صورة الضمان, وزمن الرحيل, قائلاً:

كأن حدوج المالكيه غدوة خلايا سفين بالتواصف من درٍ[٢]

عدوليةُ او من سفين ابن يأمنِ يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

ويأتي الدافع النفسي في لوحة التشبيه التي رسمها عنترة بن شداد وقد فصلها تفصيلا دقيقاً في العدة والعدد واللون وزمن مشهد الرحيل ليؤكد تصاعد آفتهِ, أو كأنه يريد إن يقول : تعالوا وانظروا , وقدروا : كم هي مصيبتي كبيرة ولا تحتمل وسببها الرحيل , قائلا:

إن كنت أزمعت الفراق فإنما زمتْ ركابكم بليل مظلم[٣]

ما راعني إلا حمولة أهلها وسط الديار تسف حب الخمخم

فيها إثنتان واربعون حلويه سوداً كخافية الغراب الأسحمِ

وتطالعنا لوحة الظعن عند بشر بن ابي خازم في قصيدة قالها بعد انتصار بني أسد وأحلافها على بني عامر :

ألأ ظعن الخليط غداة ريعوا بشبوةٍ فالمطيُ بلا خضوع[٤]

أجد البين فأحتملوا سراعاً فما بالدار إذ ظعنوا كتبع

كأن حدوجهم لما استقلوا نخيلُ مخلمٍ فيها ينوع

ويربط عنترة بين حبيبته (المرأة) وبين بطولاته مفتخرا بكرمه ويعجب منها لأنها أشاحت بوجهها عن فارس جواد , صدئ جلده من لبس الحديد فيقول:

---

١) ديوان بشر بن أبي خازم:١٥٢

٢) ديوان عبيد بن الابرص

٣) الخطيب التبريزي: شرح المعلقات العشر/٣٢٦

٤) ديوان بشر بن خازم :١٢٩ , الروع :الفزع , ريعوا : فيحوا للسفر, شبوة:موضع , مخلم: نهر بالبحرين

عجبت عبيلة من فتى متبذل عري الاشاجع شاحبٍ كالمنصل[1]
شعث المفارق منهج سربالهُ لم يدهنْ حولاً ولم يترجلِ
لا يكتسي الا الحديد إذا اكتسى وكذلك كل مغاور مستبسل
فتضاحكت عجبا وقالت قولةً لا خير فيك, كأنها لمْ تحفل
فعجبت منها كيف زلت عينها عن ماجدٍ طلق اليدين شمردلِ

ويأتي الوصف متجانساً مع غاية الشاعر دريد بن الصمة في قصيدته حين يطل على شبابه وفروسيته ويعكس حالته المحزنة حين يرسم صورة الفارس الشجاع وكيف فعلت قدرة الزمن التحطيمية التي أحالت صورته إلى قرد يطوف به الولدان. وصف مأساوي لحالته جعل لوحة التشبيه مشخصة لانفعالاته النفسية لذلك جاءت بالقوة التعبيرية التي وصلت إلى مدى تأثير الوصف في مطابقة الحالة

فإن يك رأسي كالثغامةِ نسلهُ يطيف بي الولدان أحدب كالقرد[2]
رهينة قعر البيت كل عشيةٍ كأني أروي أن أصوب في ممهدٍ

يفخر المهلهل بن ربيعة بشجاعته حينما ينصف أعداءه ويثني على شجاعتهم منطلقا من صدق المشاعر فهو يصرح ببطولة خصمه ليبرز شجاعته حينما يقال عدو شجاعٍ , فهو أقوى منه وأكثر استعداداً ويمكن اعتباره هذا الإعجاب إنما هو تقدير لمفهوم الشجاعة فيقول:

فدى لبني الشقيقة يوم جاؤوا كأسدٍ الغاب لجتْ في الزئير[3]
كأن رماحهم أشطان بئرٍ بعيد بين جاليها حرور

الدراسة الفنية

يشير البحث أولا إلى أن التشبيه تمثل في كل الأغراض الشعرية ثم ملاحظة ذلك في القصائد المقطوعة من شعر الشعراء في الوصف والوقوف على الأطلال وموقف الرحيل والمرأة والفخر.

ومن خلال قراءة مجملة للنصوص الشوية في مختلف الأغراض نلاحظ إنها بنيت اساساً على دوافع نفسية نقلتها صورة التشبيه وما ظهر في موقف الطلل , كما احتل المكان والزمان مركزاً يتجلى في رؤية الشاعر , وحددت بما يلي:

١. اتسمت أشعار الشعراء بالواقعية عند تصوير الصحراء القاسية بجبالها ووديانها وصخورها وحيواناتها, كما صوروا مظاهر الطبيعة المختلفة من برق ورعد ومطر و جاء التشبيه يحمل صدق النقل ومطابقة الواقع كما في قول المهلهل بن ربيعة:

إذا اقبلت خمير في جمعها ومدمج كالعارض المستحيق
وجمع همدان له لجبة وراية تهوى هوي الانوق

---

١)ديوان عنترة :٢٥٣ , المتبذل:المتصرف في الحرب , شعث المفارق: متغير الشعر, السربال: القميص

٢)ديوان دريد بن الصمة: ٥٤ , الثغامة: شجرة تبيض كأنها الثلج, نسله: يقال أنسلت الناقة وبرها إذا القته.

٣) ديوان المهلهل بن ربيعة :٢٦٣, الزبير :صوت الاسد, أشطان :جمع شطن :حبل البئر

فقلد الامر بنو هاجرٍ منهم رئيسا كالحاسم الفتيق[١]

ويصور عنترة بن شداد رحلة الظعن, ليعطي تحديداً عددياً للأبل التي تحمل الظعن, كما دخل اللون في صورة التشبيه جاء ذلك في قوله:

فيها إثنتان واربعون حلويه سوداً كخافية الغراب الأسحمِ[٢]

كما إن النغم الذي جاء في مطلع معلقة الشاعر عنترة بن شداد, ينساب سلساً عذباً, مع رقة الألفاظ وروعة المعاني, وهذا الانسجام يبين الألفاظ والمعاني وعذوبة اللحن يتماشى مع نفسية عنترة بن شداد الرقيقة وعمق مشاعره التي عبر عنها في قوله:

إذ تستبيك بأصلتي ناعمٍ عذبٍ مُقبلهُ لذيذ المطعم[٣]

كأنما نظرت بعيني شادنٍ رشا من الغزلان ليس بتوأم

٢- ومن خلال استقراء سريع لقصائد الشعراء , يتضح لنا كثرة استعمالهم لحروف (الميم,الراء,اللام,الدال) في الروي وهي من القوافي الذلل[٤] , والميم واللام أحلى القوافي لسهولة مخارجها وكثرة أصولها في الكلام, وتليها الباء والراء والدال[٥] .

٣- كما لوحظ قلة اعتمادهم التصريح في شعرهم على الرغم من كونه " في الشعر أقوى من غيره "[٦] والتصريح هو ماكانت عروض البيت فيه تابعة لضربه, تنقص بنقصه وتزيد بزيادته, كما في قول عنترة بن شداد:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[٧]

اعياك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الاعجم

ويأتي التكرار الصوتي في بناء الموسيقى الداخلية للنص حيث تتألف مع الوزن الشعري والقافية لتشكل بناءً موسيقياً رفيعاً , ويتم التكرار بحروف بعينها في كل بيت على حده وكأنه يرجع أصواتاً وإيقاعات موسيقية جميلة أو يكون ذلك بتكرار كلمات يتم اختيارها تخيراً موسيقياً خاصاً , لتؤدي بجانب دورها بناء الصورة الشعرية فتكون مطابقة لحالة التشبيه ومتجانسة مع اللفظ والمعنى , كما نلاحظ ذلك بقول بشر بن أبي خازم في قصيدته آنفة الذكر:

لمن الديار غشيتها بالأنعم تبدو معالمها كلون الأرقم [٨]

---

١) ديوان المهلهل: ٢٩٤

٢) ديوان المهلهل:

٣) ديوان عنترة: ١٩٤

٤) المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها: ٤٦/١

٥)المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها: ٤٧/١

٦) العمده ١٥١/١ , ١٧٣/١

٧) ديوان عنترة:

٨) ديوان بشر بن خازم:

فيظهر اللون في الألفاظ لدلالة واضحة كما نلاحظ إن للميم نغماً خاصاً, كذلك نلاحظ اللون وتكرار الضمائر في شعر عمرو بن كلثوم كما في قوله:

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبينا[1]

كأن ثيابنا منا ومنهم خضبن بأرجوان أو طلينا

كما في قول عنترة بن شداد حين يصف بطلا لا نظير له في الشجاعة قد طعنه برمح اسمر وسيف البيض يماني فوقع في ساحة المعركة وتخضبت بالدماء الحمراء النازفة ذوائب شعره مؤكداً تفوقه على خصمه فيقول:

بأسمر من رماح الخط لدنٍ وأبيض صارم ذكر يماني[2]

وقرنٍ قد تركتْ لدى مكرُ عليه سبائب كالارجوان

تظهر صورة التشبيه الملونة بدلالات نفسية متعددة في شعر الشعراء مستمدة من واقعهم البيئي والفروسي المعيش بالألفاظ ومسميات كثيرة تدل عليها , فاستخدموا الألوان بشكل واسع في الوصف , وبذلك عدت لألوان ذات دلالات نفسية محببة إلى نفوسهم , كما في قول المهلهل بن ربيعة:

ترى الرماح بأيدينا فنوردها بيضاً ونصدرها حمراً اعاليها[2]

كأن صب دماء القوم إذ نهلوا صب السحاب إذا انهلت عزاليها

لذلك نلاحظ الفنون البلاغية ذات الأداء الصوتي تشكل حضوراً ملموساً في النصوص الشعرية التي تحمل صورة التشبيه , وتجسد الدلالات النفسية بشكل مكثف ومعبر , مما يعطي دوراً للباعث لينسجم مع توقعنا بان الباعث النفسي يؤثر وبشكل كبير في صورة التشبيه في شعراء ماقبل الإسلام.

واخيرا نقول بأن الباعث النفسي يمثل الدافع الحقيقي في رسم التشبيه المؤثر وما لمسناه بما استشهدنا به من الشعر, بان الشعراء تفننوا في مخاطباتهم من رسم ممتع, لايقف عند الصورة الواحدة بأستخدام التشبيه بل يولد الشاعر منها صورا متتالية تشهد له بالبلاغة والبراعة .

<u>قائمة المصادر والمراجع</u>

١ . القرآن الكريم

[1]) ديوان عمرو بن كلثوم

[2]) ديوان المهلهل بن ربيعة

٢ . البيان والتبيين,الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥ هـ)) تحقيق عبد السلام محمد هارون , مكتبة الخانجي , القاهرة (ط ٥) ١٩٨٥م.

٣ . الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي,د.عبد القادر فيدوح مطبعة اتحاد الكتاب العرب, دمشق , الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٤ . ديوان الأعشى الكبير, ميمون بن قيس, شرح وتعليق محمد محمد حسن ط٢ , دار النهضة العربية ,بيروت ١٩٧٤م.

٥ . ديوان امرؤ ألقيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف ط٢, مصر .١٩٦٩

٦ . ديوان المهلهل , بن ربيعة ألتغلبي

٧ . ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي ,تحقيق الدكتورة عزة حسن ,منشورات وزارة الثقافة دمشق ط٢ ١٩٧٢م.

٨ . ديوان دريد بن الصمة,قدمه دكتور شاكر الفحام,جمع وتحقيق وشرح محمد خيري ألبقاعي,دار قتيبة ١٩٨١م.

٩ . ديوان عبيد بن الأبرص, تحقيق وشرح الدكتور حسن نصار, ط٢ مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة سنة .١٩٧٩

١٠. ديوان عمرو بن كلثوم, جمعه وحققه وشرحه الدكتور أميل بديع يعقوب, دار الكتاب العربي.

١١. ديوان عنترة بن شداد: تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي المكتب الإسلامي , القاهرة .١٩٧٠

١٢. شرح ديوان الحماسة: المرزوقي أبو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ) تحقيق احمد أمين وعبد السلام هارون القاهرة ١٩٦٧م.

١٣. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات , أبو بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨) تحقيق عبد السلام محمد هارون ط٤ , وزارة المعارف, مصر ١٩٨٨م.

١٤. شرح القصائد العشر : الخطيب التبريزي,تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد,القاهرة ط٢, ١٩٦٤م.

١٥.الشعر والشعراء , أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق احمد محمد شاكر ط٢ دار المعارف , مصر ١٩٥٨م.

١٦.عبار الشعر : محمد بن احمد بن طباطبا العلوي, تحقيق وتعليق د. طه الحاجزي ومحمد زغلول سلام , المكتبة التجارية الكبرى, القاهرة, ١٩٥٦.

١٧.الكامل في اللغة والأدب والنحو: المبرد, أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ.

١٨.مدخل علم النفس , تأليف لندال, دافيدوف , ترجمة الدكتور سيد الطواب والدكتور محمود عمر والدكتور نجيب خزام .

١٩.منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني دار العربي الإسلامي , بيروت ط٢ ١٩٨١م.

٢٠.نقد الشعر , قدامة بن جعفر , تحقيق كمال مصطفى, مكتبة الخانجي , مصر ١٩٤٨.

Summary of research

The conclusion of research is:

The psychological motives have a unique feature on acting emotion and feelings in the poet, through his vision of the situation, thus contributing in the form of comparative analogy, gave the recipient the case of reflection and comparison between the two cases that combine parts their a single case amounted to bond, and this is certainly the picture metaphor expressive and I fluential in the audience.

This type of analogy by using (as) had been adopted mostly in the era before Islam poet, and adequately to the goal, so the poetries in the era before Islam had used this type of analogy, there was more obvious in pride, praise, standing on the ruins and in painting description.... Etc.